لغز أسطورة سيف إكسكالبار

هي أسطورة تتحدث عن سيف أسطوري يقبع في صخرة عظيمة ينتظر ذراعا قوية لتلتف حول عنقه كلمسة أم حانية وتقبض عليه بقوة الأسد وتلتف حوله كالأفعى ثم تسله من غمده الصخري ليلامس أشعة النور ونسمة الرياح....

في العديد من الدول الإسكندنافية والولايات المتحدة الأمريكية أيضا تقام أحيانا احتفالات لها علاقة بالعصور الوسطى , وأهم ما يميز هذه المهرجانات وجود صخرة بها سيف زائفة طبعا و من ينتزعها يحصل على مكافئة تكون على شكل دب قطني محشو أو أي هدية أخرى, لكن هذه اللعبة لم تأتي من العدم فلها جذور أسطورية عميقة لنتعرف عليها .

إكسكالبار أو كاليبرن (Excalabur /Caliburn) هو سيف بقوى سحرية من ممتلكات الملك آرثر صنعه ميرلين لحماية كاميلوت قبل ميلاد آرثر بألف عام , يقال أن آرثر أنتزعه من الصخرة في خضم معركة دامية فسطع نوره السحري وتسبب بالعمى لجميع أعدائه فانتصر على قوى الشر .. وتقول الأسطورة أن من يحمل السيف لا ينزف و لا يموت في المعارك أبدا . وهذا السيف هو أيضا رمز لشرف الرجال , ويقال بأن أحد النبلاء قد أشترط على من يتقدم لخطبة أبنته أن ينزع سيفا حديديا ثقيلا من صخرة ما! .

وهناك أسطورة محلية تقول أنه قديما كان حدادو القرية يتحدون معا لصنع أضخم وأثقل سيف وبعدها يفرغون عليه الإسمنت و يتركونه ليجف ,ويخصص يوما ما يجتمع فيه الناس ويكون مهرجانا لقوة عضلات الرجال , فأي رجل ينجح في نزع السيف يكون هو البطل وتهلهل له الحشود , أما الخاسر فسيلحقه عار السيف طيلة حياته أو إلى أن يغادر القرية .

من القصص الأخرى المعروفة هي قصة ابنة الماركيز التي كانت تعشق فتى الإسطبل , بالطبع أبوها لم يكن ليوافق أبدا على زواج ابنته من شاب فقير معدم , فهو , أي الماركيز , لا يؤمن بلغة الحب مثلما يؤمن بلغة النقود و الطبقات الاجتماعية , وقد حدث أن تقدم لخطبة أبنته شاب أخرق لكنه ابن تاجر ثري , وبرأي الأب المستبد فقد كان هذا الأخرق هو الزوج المناسب لأبنته , فهو يملك المال , لكن الابنة رفضت واتهمت أباها بالظلم والجور , فأراد الأب أن يعمل مسرحية يظهر فيها على أنه أب عادل , فقام بتنظيم مسابقة تقتضي بأن يحاول كل من فتى الإسطبل و ابن الثري نزع سيف من الصخرة ومن ينجح في ذلك سيفوز بيد ابنة الماركيز.

واجتمع الناس لرؤية المسابقة , وكان ذلك اليوم بمثابة مهرجان واحتفال عظيم , لكن ما لا يعرفه الناس هو أن الماركيز تعمد الغش في المسابقة لكي يفوز أبن الثري , فأمر الحدادين بصنع أثقل سيف ووضعه في طبقات مضاعفة من الإسمنت والمواد صعبة الكسر لفتى الإسطبل , أما لأبن التاجر فأمرهم أن يصنعوا سيفا خيف المعدن سهل الحمل ووضعه في صخرة بها فتحة كبيرة من اجل ضمان فوزه .

وكان فتى الإسطبل قوي البنية ضخم الجثة , فراهن الجميع على فوزه , وبالمقابل كان واضحا أن ابن الثري المدلل لم يعمل ولو لمرة في حياته وكان يرتعش كالدجاجة و يمشي في تمايل وغنج ودلال كالفتيات , وبالرغم من تسهيل الماركيز لمهمته فقط كان يفشل في نزع السيف في كل مرة ويأخذ فترات طويلة ليرتاح فيها بين كل محاولة وأخرى , أما فتى الإسطبل فلم يتوقف أبدا عن المحاولة , وكانت مهمته تكاد تكون مستحيلة , وظن الجميع أنه سيفشل , لكن بينما كان يرتاح من المحاولات المتكررة نظر إلى حبيبته ورأى دموع ترقرق في عيناها الساحرتين فأطلق صرخة مدوية وامسك بالسيف وراح يسحبه بكل ما أوتي من قوة حتى نزفت يداه , وما هي إلا لحظات حتى نزع السيف من مكانه وسط صرخات وتشجيع ودهشة الجماهير المحتشدة .

لكن برغم بطولة فتى الإسطبل فأن والد حبيبته رفض أن يزوجه أبنته بحجة أن السيف الذي نزعه بقي جزء منه محطم قابع في الصخرة , ولما لاحظ الناس ظلم الماركيز شجعوا ابنته على الهرب مع حبيبها وسدوا الطريق عن والدها وأتباعه حتى فر الحبيبان إلى وجهة مجهولة ليعيشا بسعادة .

جدير بالذكر أن السيف الأسطوري لم ينظر إليه دائما كأسطورة , فهناك من أمنوا بأنه سيف حقيقي وبأنه كبير وثقيل جدا بحكم أن المحاربين القدماء كانوا ضخام الجثة , وأن السيف مصنوع من الذهب الممزوج بمعدن البلاتين مما يمنحه قوة خارقة , وهو مرصع بأحجار الزفير الزرقاء و الياقوت الحمراء و مكسو بالزمرد , وفي قبضته توجد جوهرة كبيرة هي

حجر القمر ... هذا الوصف الباذخ عن السيف دفع بالكثير من علماء الآثار إلى البحث عنه من أجل حفظه بأعتباره كنز قومي , لكن في نفس الوقت أشعل هذا الوصف جذوة الطمع في قلوب الكثيرين , فأجتمع صائدو الكنوز ورجال العصابات من أرجاء المعمورة , ودنسوا العديد من قبور الفرسان القديمة بحثا عن قبر الملك آرثر وسيفه الأسطوري الذي يعتقد بأنه دفن معه . لكن هناك أسطورة أخرى تقول بأن زوجته غوينيفير قامت بعد موته بإذابة السيف و إعادة تشكيله على شكل قطع نقدية وزعتها على الفقراء, وهناك من يقول أن السيف سرق من طرف الفرنسيين ثم ضاع في المحيط الأطلسي نتيجة لعاصفة حطمت السفينة , ولا يزال بعض الإنجليز ليومنا هذا يتهمون الفرنسيين لكننا نعلم أن القصة ليست إلا تمويه لأن أسباب العداوة الحقيقية بين الطرفين سياسية ولها علاقة بما يكون من التنافس والأحقاد التاريخية بين معظم الدول والشعوب المتجاورة .

أعزائي إن حظيتم يوما بفرصة لزيارة بريطانيا العظمى لا تترددوا في دخول المتاحف و سؤالهم عن تاريخهم وأساطيرهم ومشاهدة مسرحياتهم .. حقا أنه عالم خيالي له سحر خاص وقد أضاف له شعب الجزيرة العريقة نكهة فريدة من نوعها .